**اسم المادة الدراسية باللغة العربية : عصر الرسالة**

**اسم المادة الدراسية باللغة الانكليزية : History of the Prophetical Period**

**اسم المحاضرة : أهم الأحداث ما بين الحديبية وفتح مكة**

**اسم التدريسي : أ.د.مظهر عبد علي**

**المستوى الدراسي : الأول**

**الدراسة : الصباحية**

**الأسبوع : الثالث عشر**

**غزوة خيبر**

**تاريخها وأسبابها :**

ذكر ابن إسحاق أنها كانت في المحرم من السنة السابعة للهجرة ، وذكر الواقدي أنها كانت في صفر أو ربيع الأول من السنة السابعة للهجرة , بعد العودة من غزوة الحديبية، وذهب ابن سعد إلى أنها في جمادى الأولى سنة سبعٍ ، وقال الإمامان الزهري ومالك: إنها في محرم من السنة السادسة ، وقد رجح ابن حجر قول ابن إسحاق على قول الواقدي .

لم يُظهر يهود خيبر العداء للمسلمين حتى نزل فيهم زعماء بني النضير، الذي حزَّ في نفوسهم إجلاؤهم عن ديارهم ، ولم يكن الإجلاء كافياً لكسر شوكتهم ، فقد غادروا المدينة ومعهم النساء والأبناء والأموال, وخلفهم القيان يضربن الدفوف والمزامير بزهاء وفخر ما رئي مثله في حي من الناس في زمانهم ، وكان من أبرز زعماء بني النضير الذين نزلوا في خيبر سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن أبي الحقيق ، وحيي بن أخطب فلما نزلوا دان لهم أهلها .

وكان تزعم هؤلاء ليهود خيبر كافياً في جرها إلى الصراع والتصدي والانتقام من المسلمين ، فقد كان يدفعهم حقد دفين ورغبة قوية في العودة إلى ديارهم داخل المدينة ، وكان أول تحرك قوي ما حدث في غزوة الأحزاب ، حيث كان لخيبر وعلى رأسها زعماء بني النضير دور كبير في حشد قريش والأعراب ضد المسلمين وتسخير أموالهم في ذلك ، ثم سعيهم في إقناع بني قريظة بالغدر والتعاون مع الأحزاب , بل إنهم أنفقوا أموالهم واستغلوا علاقاتهم مع يهود بني قريظة من أجل نصرة الأحزاب وطعن المسلمين في ظهورهم , وهكذا أصبحت خيبر مصدر خطر كبير على المسلمين ودولتهم النامية .

تفرغ المسلمون بعد صلح الحديبية لتصفية خطر يهود خيبر الذي أصبح يهدد أمن المسلمين ، ولقد تضمنت سورة الفتح التي نزلت بعد الحديبية وعداً إلهيّاً بفتح خيبر وحيازة أموالها غنيمة , قال تعالى: (وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا - وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) [الفتح:20، 21] .

**مسير الجيش الإسلامي إلى خيبر:**

سار الجيش إلى خيبر بروح إيمانية عالية على الرغم من علمهم بمنعة حصون خيبر وشدة بأس رجالها وعتادها الحربي ، وكانوا يكبرون ويهللون بأصوات مرتفعة ، فطلب منهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرفقوا بأنفسهم قائلا: «أيها الناس .. إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم» ، وكان سيره صلى الله عليه وسلم بالجنود ليلاً ، فقد قال سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه -: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فسرنا ليلاً ، وكان عامر بن الأكوع يحدو بالقوم ويقول:

اللهم لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداء لك ما اتقينا وثبت الأقدام إن لاقينا

وألقين سكينة علينا إنا إذا صيح بنا أتينا

وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من هذا السائق؟» قالوا: عامر بن الأكوع ، قال: «يرحمه الله» ، قال رجل -وهو عمر بن الخطاب - من القوم: وجبت يا نبي الله ، لولا متعتنا به .

وعندما وصل الجيش الإسلامي بالصهباء ، وهي من أدنى خيبر، صلى العصر ثم دعا بالأزواد ، فلم يؤت إلا السويق ، فأمر به فثري ، فأكل وأكل معه الصحابة ، ثم قام إلى المغرب فمضمض ثم صلى بالصحابة ولم يتوضأ .

وكان صلى الله عليه وسلم قد بعث عباد بن بشر - رضي الله عنه - في سرية استطلاعية يتلقط أخبار العدو, ويستطلع إن كان هناك كمائن ، فلقي في الطريق عيناً لليهود من أشجع فقال: من أنت؟ قال: باغٍ ابتغى أبعرة ضلت لي ، أنا على إثرها ، قال عباد: ألك علم بخيبر؟ قال: عهدي بها حديث ، فيم تسألني عنه؟ قال: عن اليهود؟ قال: نعم ، كان كنانة بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس ساروا في حلفائهم من غطفان ، فاستنفروهم وجعلوا لهم ثمر خيبر سنة ، فجاءوا معدين مؤيدين بالكراع والسلاح يقودهم عتبة بن بدر، ودخلوا معهم في حصونهم ، وفيهم عشرة آلاف مقاتل ، وهم أهل الحصون التي لا ترام ، وسلاح وطعام كثير لو حصروا لسنين لكفاهم ، وماء وأنى يشربون في حصونهم ، ما أرى لأحد بهم طاقة ، فرفع عباد بن بشر السوط فضربه ضربات ، وقال: ما أنت إلا عين لهم ، اصدقني وإلا ضربت عنقك . فقال الأعرابي: القوم مرعوبون منكم خائفون ، وجلون لما صنعتم بمن كان بيثرب من اليهود ، وقال لي كنانة: اذهب معترضاً للطريق فإنهم لا يستنكرون مكانك واحزرهم لنا ، وادن منهم كالسائل لهم ما تقوى به، ثم ألق إليهم كثرة عددنا ومادتنا , فإنهم لن يدعوا سؤلك ، وعجل الرجعة إلينا بخبرهم .

وعندما وصل جيش المسلمين إلى مشارف خيبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: قفوا . ثم قال: «اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين ، فإنا نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها ، وشر ما فيها» ، اقدموا باسم الله، وكان يقولها لكل قرية دخلها ، ولما أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم الليل أمر الجيش بالنوم على مشارف خيبر، ثم استيقظوا مبكرين ، وضربوا خيامهم ومعسكرهم بوادي الرجيع ، وهو وادي يقع بين خيبر وغطفان ، حتى يقطعوا المدد عن يهود خيبر من قبيلة غطفان ، ولما أصبح الصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم , فلما رأوا جيش المسلمين قالوا: محمد والله ، محمد والخميس ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» .

**وصف تساقط حصون خيبر:**

هرب اليهود إلى حصونهم وحاصرهم المسلمون ، وأخذوا في فتح حصونهم واحداً تلو الآخر، وكان أول ما سقط من حصونهم ناعم والصعب بمنطقة النطاة , وأبى النزار بمنطقة الشق ، وكانت هاتان المنطقتان في الشمال الشرقي من خيبر، ثم حصن القموص المنيع في منطقة الكتيبة ، وهو حصن ابن أبي الحقيق ، ثم أسقطوا حصني منطقة الوطيح والسلالم .

واجه المسلمون مقاومة شديدة وصعوبة كبيرة عند فتح بعض هذه الحصون ، منها حصن ناعم الذي استُشهد تحته محمود بن مسلمة الأنصاري ، حيث ألقى عليه مرحب رحى من أعلى الحصن , والذي استغرق فتحه عشرة أيام , فقد حمل راية المسلمين عند حصاره أبو بكر الصديق، ولم يفتح الله عليه ، وعندما جهد الناس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه سيدفع اللواء غداً إلى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ، لا يرجع حتى يفتح له ، فطابت نفوس المسلمين ، فلما صلى فجر اليوم الثالث دعا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ودفع إليه اللواء فحمله فتم فتح الحصن على يديه ، وكان علي يشتكي من رمد في عينيه عندما دعاه الرسول صلى الله عليه وسلم فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرئ ، ولقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم عليّاً بأن يدعو اليهود إلى الإسلام قبل أن يداهمهم ، وقال له: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن تكون لك حمر النعم» ، وعندما سأله علي: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك منعوا منكم دماءهم وأموالهم، إلا بحقها وحسابهم على الله» ، وعندما حاصر المسلمون هذا الحصن برز لهم سيده وبطلهم مرحب وكان سبباً في استشهاد عامر بن الأكوع ، ثم بارزه علي فقتله , مما أثر سلبيّاً في معنويات اليهود ومن ثم هزيمتهم ، ووردت مجموعة من روايات تخبر بأن عليّاً - رضي الله عنه - تترس بباب عظيم كان عند حصن ناعم بعد أن أسقط يهودي ترسه من يده ، وكلها روايات ضعيفة , وعدم الاعتماد عليها لا ينفي قوة علي وشجاعته ، فيكفيه ما ثبت في ذلك وهو كثير .

توجه المسلمون إلى حصن الصعب بن معاذ بعد فتح حصن ناعم ، وأبلى حامل رايتهم الحباب بن المنذر بلاء حسنًا حتى افتتحوه بعد ثلاثة أيام ، ووجدوا فيه الكثير من الطعام والمتاع ، يوم كانوا في ضائقة من قلة الطعام ، ثم توجهوا بعده إلى حصن قلعة الزبير الذي اجتمع فيه الفارون من حصن ناعم والصعب وبقية ما فتح من حصون يهود ، فحاصروه وقطعوا عنه مجرى الماء الذي يغذيه ، فاضطروهم إلى النزول للقتال ، فهزموهم بعد ثلاثة أيام ، وبذلك تمت السيطرة على آخر حصون منطقة النطاة التي كان فيها أشد اليهود ، ثم توجهوا إلى حصون منطقة الشق وبدءوا بحصن أبي فاقتحموه ، وأفلت بعض مقاتلته إلى حصن نزار, وتوجه إليهم المسلمون فحاصروهم ثم افتتحوا الحصن ، وفر بقية أهل الشق من حصونهم وتجمعوا في حصن القموص المنيع وحصن الوطيح وحصن السلالم , فحاصرهم المسلمون لمدة أربعة عشر يوماً حتى طلبوا الصلح ، وهكذا فتحت خيبر عنوة استناداً إلى النظر في مجريات الأحداث التي سقناها , وما روى البخاري ومسلم ، وأبو داود من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر وافتتحها عنوة .

وبذلك سقطت سائر خيبر بيد المسلمين ، وسارع أهل فدك في شمالي خيبر إلى طلب الصلح ، وأن يسيرهم ويحقن دماءهم ، وبذلوا له الأموال فوافق على طلبهم , فكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه لا يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، وحاصر المسلمون وادي القرى ، وهي مجموعة قرى بين خيبر وتيماء ليالي , ثم استسلمت , فغنم المسلمون أموالا كثيرة وتركوا الأرض والنخل بيد اليهود وعاملهم عليها مثل خيبر وصالحت تيماء على مثل صلح خيبر ووادي القرى ، وبذلك تساقطت سائر الحصون اليهودية أمام قوات المسلمين وقد بلغ قتلى اليهود في معارك خيبر ثلاثة وتسعين رجلاً , وسبيت النساء والذراري منهن صفية بنت حيي بن أخطب فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها ، واستشهد من المسلمين عشرون رجلا فيما ذكر ابن إسحاق , وخمسة عشر فيما ذكر الواقدي .

**دعوة الملوك والأمراء :**

**كان صلح الحديبية إيذانًا ببداية المد الإسلامي :**

انساح هذا المد إلى أطراف الجزيرة العربية بل تجاوزها إلى ما وراء حدود الجزيرة العربية فمنذ (أن عقد الرسول صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية مع قريش وما تلا ذلك من إخضاع يهود شمال الحجاز في خيبر ووادي القرى وتيماء وفدك إلى سيادة الإسلام، فإن الرسول لم يأل جهداً لنشر الإسلام خارج حدود الحجاز، وكذلك خارج حدود الجزيرة العربية , وقد عبر عليه الصلاة والسلام عن هذا المنهج قولاً وعملاً من خلال إرساله عدداً من الرسل والمبعوثين إلى أمراء الجزيرة العربية وإلى ملوك العالم المعاصر خارج الجزيرة العربية.

وتعد هذه الخطوة نقطة تحول مهمة في تاريخ العرب والإسلام ليس لأن الرسول سوف يوحد عرب الجزيرة العربية تحت راية الإسلام فحسب ، ولكن لأن هؤلاء العرب بعد أن اعتنقوا الإسلام وتمثلوا رسالة السماء أنيط بهم حمل الدعوة الإسلامية إلى البشرية كافة .

ويشير المنهج النبوي في دعوة الزعماء والملوك إلى ما يجب أن تكون عليه وسائل الدعوة ، فإلى جانب دعوة الأمراء والشعوب ، اختار الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوبًا جديداً من أساليب الدعوة وهو مراسلة الملوك ورؤساء القبائل ، وكان لأسلوب إرسال الرسائل إلى الملوك والأمراء أثر بارز في دخول بعضهم الإسلام وإظهار الود من البعض الآخر، كما كشفت هذه الرسائل مواقف بعض الملوك والأمراء من الدعوة الإسلامية ودولتها في المدينة ؛ وبذلك حققت هذه الرسائل نتائج كثيرة , واستطاعت الدولة الإسلامية من خلال ردود الفعل المختلفة تجاه الرسائل أن تنتهج نهجاً سياسيّاً وعسكريّاً واضحاً ومتميزاً , وأهم هذه الرسائل:

1- فقد وردت رواية صحيحة تضمنت نص كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي بعثه مع دحية الكلبي إلى هرقل عظيم الروم , وذلك في مدة هدنة الحديبية وهو كما يلي: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله ، إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى: أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت عليك إثم الأريسيين , (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [آل عمران: 64] » .

ولقد تسلم هرقل رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ودقق في الأمر كما في الحديث الطويل المشهور بين أبي سفيان وهرقل المروي في الصحيحين حين سأله عن أحوال النبي، وقال بعد ذلك لأبي سفيان: (إن كان ما تقول فيه حقًّا فإنه نبي ، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، ولو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه) .

2- أرسل النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب إلى كسرى ملك الإمبراطورية الفارسية ، مع عبد الله بن حذافة السهمي ، (أمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه مزقه , فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمَّزقوا كل ممزق) ، ونص الرسالة كما أورده الطبري كالتالي: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، إلى الناس كافة ، لينذر من كان حيّاً ، أسلِمْ تسلَمْ ، فإن أبيت عليك إثم المجوس» .

3- أما كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ملك الحبشة فقد أرسله مع عمرو بن أمية الضمري وقد جاء في الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ، إلى النجاشي ملك الحبشة ، أسلم أنت ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة , فحملت به ، فخلقه من روحه ونفخه , كما خلق آدم بيده ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة عن طاعته ، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي ، والسلام على من اتبع الهدى» .

4- أما كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس حاكم مصر, وكذلك رد المقوقس إليه , فلم تثبت من طرق صحيحة ، ولا يعني ذلك نفي إرسال الكتاب إليه ، كما أن ذلك لا يعني الطعن بصحة النصوص من الناحية التاريخية , فربما تكون صحيحة من حيث الشكل والمضمون غير أنها لا يمكن أن يحتج بها في السياسة الشرعية ، فلقد أورد محمد بن سعد في طبقاته أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى المقوقس جريح بن مينا ملك الإسكندرية وعظيم القبط ، كتاباً مع حاطب بن أبي بلتعة اللخمي ، وأنه قال خيراً وقارب الأمر، غير أنه لم يسلم وأهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم عدة هدايا كان بينها مارية القبطية ، وأنه لما ورد جواب المقوقس إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ضن الخبيث بملكه ، ولا بقاء لملكه» .

5- وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب أخا بني أسد بن خزيمة ، برسالة إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق , حين عودته والمسلمين من الحديبية ، وقد تضمن نص الرسالة قوله: سلام على من اتبع الهدى ، وآمن به ، إني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يُبقى لك ملكك .

6- وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سليط بن عمرو العامري بكتاب إلى هوذة بن علي الحنفي عند مقدمه من الحديبية , وقد اشترط هوذة الحنفي على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد قراءته رسالته إليه أن يجعل له بعض الأمر معه ، فرفض النبي صلى الله عليه وسلم أن يقبل ذلك .

7- وأرسل صلى الله عليه وسلم أبا العلاء الحضرمي بكتابه إلى المنذر بن ساوي العبدي أمير البحرين بعد انصرافه من الحديبية ، ونقلت المصادر التاريخية أن المنذر قد استجاب لكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وأسلم معه جميع العرب بالبحرين ، فأما أهل البلاد من اليهود والمجوس فإنهم صالحوا العلاء والمنذر على الجزية من كل حالم دينار, ونقل أبو عبيد القاسم بن سلام نص كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوي برواية عروة بن الزبير، وجاء فيه: «سلام أنت ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا , فذلك المسلم الذي له ذمة الله ، وذمة الرسول ، فمن أحب ذلك من المجوس فإنه آمن ومن أبى فإن الجزية عليه» .

وفي ذي القعدة سنة 8هـ بعث النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص بكتابه إلى جيفر وعبد ابني الجلندي الأزديين بعمان , وقد جاء فيه: «من محمد النبي رسول الله لعباد الله الأسبذيين ملوك عمان ، وأسد عمان، ومن كان منهم بالبحرين إنهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا الله ورسوله وأعطوا حق النبي صلى الله عليه وسلم ، ونسكوا نسك المؤمنين ، فإنهم آمنون وأن لهم ما أسلموا عليه ، غير أن مال بيت النار ثنيا لله ورسوله , وأن عشور التمر صدقة ، ونصف عشور الحب ، وأن للمسلمين نصرهم ونصحهم ، وأن لهم على المسلمين مثل ذلك ، وأن لهم أرحاءهم يطحنون بها ما شاءوا» .

**سرية مؤتة سنة 8هـ :**

**أسبابها وتاريخها :**

أشعل عرب الشام فتيل الصراع بين المسلمين والبيزنطيين ، فقد دأبت قبيلة كلب من قضاعة التي كانت تنزل على دومة الجندل على مضايقة المسلمين ، وحاولت أن تفرض عليهم نوعاً من الحصار الاقتصادي عن طريق إيذائها للتجار الذين كانوا يحملون السلع الضرورية من الشام إلى المدينة ، ولذلك غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيلة كلب بدومة الجندل سنة (5هـ) لكنه وجدهم قد تفرقوا , كما أن رجالاً من جذام ولخم قطعوا الطريق على دحية بن خليفة الكلبي عند مروره بحسمى بعد إنجازه لمهمة أناطها به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستلبوا كل ما معه ، فكانت سرية زيد بن حارثة إلى حسمى في سنة 6هـ , ويضاف إلى ذلك أيضاً ما قامت به قبيلتا مذحج وقضاعة من اعتداء على زيد بن حارثة وصحبه في العام المذكور (6هـ) , وذلك عندما ذهبوا إلى وادي القرى في بعثة بغرض الدعوة إلى الله ، وبعد صلح الحديبية أخذ هذا المسلك العدواني يأخذ منحنى أكثر خطورة , بعد مقتل الحارث بن عمير الأزدي رسول رسول الله إلى حاكم (بصرى) التابع لحاكم الروم ، فقد قام شرحبيل بن عمرو الغساني بضرب عنق رسول رسول الله , ولم تجر العادة بقتل الرسل والسفراء ، كما أن الحارث بن أبي شمر الغساني حاكم دمشق أساء استقبال مبعوث رسول الله وهدد بإعلان الحرب على المدينة، ثم حدث بعد ذلك بما يزيد قليلا عن العام أن بعث رسول الله سرية بقيادة عمرو بن كعب الغفاري ليدعو إلى الإسلام في مكان يقال له (ذات أطلاح) فلم يستجب أهل المنطقة إلى الإسلام وأحاطوا بالدعاة من كل مكان وقاتلوهم حتى قتلوهم جميعاً إلا أميرهم , كان جريحاً فتحامل على جرحه حتى وصل إلى المدينة فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم , وقد قام نصارى الشام بزعامة الإمبراطورية الرومانية بالاعتداءات على من يعتنق الإسلام أو يفكر بذلك ، فقد قتلوا والي مَعَانَ حين أسلم ، وقتل والي الشام من أسلم من عرب الشام .

كانت هذه الأحداث المؤلمة وبخاصة مقتل سفير رسول الله الحارث بن عمير الأزدي ، محركة لنفوس المسلمين ، وباعثاً ليضعوا حدّاً لهذه التصرفات النصرانية العدوانية ، ويثأروا لإخوانهم في العقيدة الذين سُفكت دماؤهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ونبينا محمد رسول الله ، كما أن تأديب عرب الشام التابعين للدولة الرومانية والذين دأبوا على استفزاز المسلمين وتحديهم وارتكاب الجرائم ضد دعاتهم أصبح هدفاً مهمّاً ، لأن تحقيق هذا الهدف معناه فرض هيبة الدولة الإسلامية في تلك المناطق بحيث لا تتكرر مثل هذه الجرائم في المستقبل , وبحيث يأمن الدعاة المسلمون على أنفسهم ويأمن التجار المترددون بين الشام والمدينة من كل أذى يحول دون وصول السلع الضرورية إلى المدينة .

وفي سنة 8هـ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتجهز للقتال ، فاستجابوا للأمر النبوي وحشدوا حشوداً لم يحشدوها من قبل ، إذ بلغ عدد المقاتلين في هذه السرية ثلاثة آلاف مقاتل ، واختار النبي صلى الله عليه وسلم للقيادة ثلاثة أمراء على التوالي: زيد بن حارثة ، ثم جعفر بن أبي طالب ، ثم عبد الله بن رواحة , فقد روى البخاري في صحيحه بإسناده إلى عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن قُتل زيد فجعفر، وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيش الإسلامي أن يأتوا المكان الذي قتل فيه الحارث بن عمير الأزدي - رضي الله عنه - وأن يدعوا من كان هناك إلى الإسلام فإن أجابوا فبها ونعمت , وإن أبوا استعينوا بالله عليهم وقاتلوهم .

وقد زود الرسول صلى الله عليه وسلم الجيش في هذه السرية وغيرها من السرايا بوصايا تتضمن آداب القتال في الإسلام , فقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بقوله: «أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً ، اغزوا باسم الله ، في سبيل الله من كفر بالله ، لا تغدروا ولا تقتلوا وليداً ، ولا امرأة ولا كبيراً فانياً ، ولا منعزلاً بصومعة ، ولا تقربوا نخلاً ، ولا تقطعوا شجراً ، ولا تهدموا بناء , وإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم إلى إحدى ثلاث: فإما الإسلام ، وإما الجزية ، وإما الحرب ... » .

**وداع الجيش الإسلامي :**

لما تجهز الجيش الإسلامي وأتم استعداده ، توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يودعون الجيش , ويرفعون أكف الضراعة لله عز وجل أن ينصر إخوانهم المجاهدين ، لقد سلموا عليهم وودعوهم بهذا الدعاء: دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين ، ولما ودع الناس عبد الله بن رواحة وسلموا عليه بكى وانهمرت الدموع من عينيه ساخنة غزيرة , فتعجب الناس من ذلك، وقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: والله ما بي حب الدنيا وصبابة ، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار (وَإِن مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا) [مريم: 71] , فلست أدري كيف بي بالصدر بعهد الورود ، فقال لهم المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين، فقال عبد الله بن رواحة:

لكني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فراغ تقذف الزبدا

أو طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقولوا إذا مروا على جدثي أرشده الله من غاز وقد رشدا

وودع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة ، فقال ابن رواحة يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

إني تفرست فيك الخير نافلة فراسة خالفتهم في الذي نظروا

أنت الرسول فمن يحرم نوافله والوجه منه فقد أزرى به القدر

**الجيش يصل إلى معان واستشهاد الأمراء الثلاثة :**

لما وصل الجيش الإسلامي إلى معان من أرض الشام -وهي الآن محافظة من محافظات الأردن- بلغه أن النصارى الصليبيين من عرب وعجم قد حشدوا حشوداً ضخمة لقتالهم ، إذ حشدت القبائل العربية مائة ألف صليبي من لخم وجذام وبهراء وبلى , وعينت لهم قائداً هو مالك بن رافلة , وحشد هرقل مائة ألف نصراني صليبي من الروم فبلغ الجيش مائتي ألف مقاتل ، مزودين بالسلاح الكافي يرفلون في الديباج لينبهر المسلمون بهم وبقوتهم , ولقد قام المسلمون في معان يومين يتشاورون في التصدي لهذا الحشد الضخم فقال بعضهم: نرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة نخبره بحشود العدو, فإن شاء أمدنا بالمدد ، وإن شاء أمرنا بالقتال , وقال بعضهم لزيد بن حارثة قائد الجيش: وقد وطئت البلاد وأخفت أهلها ، فانصرف فإنه لا يعدل العافية شيء ، ولكن عبد الله بن رواحة حسم الموقف بقوله: (يا قوم ، والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون؛ الشهادة! وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور، وإما شهادة ، فألهبت كلماته مشاعر المجاهدين ، واندفع زيد بن حارثة بالناس إلى منطقة مؤتة جنوب الكرك يسير حيث آثر الاصطدام بالروم هناك ، فكانت ملحمة سجل فيها القادة الثلاثة بطولة عظيمة انتهت باستشهادهم ، فقد استبسل زيد بن حارثة وتوغل في صفوف الأعداء وهو يحمل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم .

ثم أخذ الراية جعفر وانبرى يتصدى لجموع المشركين الصليبيين ، فكثفوا حملاتهم عليه ، وأحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم ، فلم تلن له قناة ، ولم تهن له عزيمة ، بل استمر في القتال , وزيادة في الإقدام ونزل عن فرسه وعقرها ، وأخذ ينشد:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها

والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

عليَّ إذا لاقيتها ضرابها

لقد أخذ - رضي الله عنه - اللواء بيده اليمنى فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت , فاحتضنه بعضديه وانحنى عليه حتى استشهد وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، ولقد أُثخن - رضي الله عنه - بالجراح إذ بلغ عدد جراحه تسعين بين طعنة برمح أو ضربة بسيف أو رمية بسهم , وليس من بينها جرح في ظهره بل كلها في صدره ، روى الإمام البخاري في صحيحه بإسناده إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- قال: كنت في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى , ووجدنا ما في جسده بضعاً وتسعين من طعنة أو رمية .

ولقد عوض الله -تبارك وتعالى- جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - وأكرمه على شجاعته وتضحيته بأن جعل له جناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء ، فقد روى البخاري في صحيحه بإسناده إلى عامر قال: كان ابن عمر إذا حيا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين ، وبعد استشهاد جعفر بن أبي طالب استلم الراية عبد الله بن رواحة الأنصاري - رضي الله عنه - وامتطى جواده ، وهو يقول:

أقسمت يا نفس لتنزلنه لتنزلن أو لتكرهنه

إن أجلب الناس وشدوا الرنة ما لي أراك تكرهين الجنة

قد طال ما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة في شنة

يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هُديت

ولما استشهد عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - ، وسقطت الراية من يده فالتقطها ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان البلوي الأنصاري ، وقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا: أنت ، قال: ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، وجاء في إمتاع الأسماع أن ثابت بن أقرم نظر إلى خالد بن الوليد فقال: خذ اللواء يا أبا سليمان ، فقال: لا آخذه ، أنت أحق به ، أنت رجل لك سن ، فقد شهدت بدراً ، فقال ثابت: خذه أيها الرجل فوالله ما أخذته إلا لك ، فأخذه خالد بن الوليد - رضي الله عنه - ، وأصبحت الخطة الأساسية المنوطة بخالد في تلك الساعة العصيبة من القتال ، أن ينقذ المسلمين من الهلاك الجماعي ، فبعد أن قدر الموقف واحتمالاته المختلفة قدراً دقيقاً ، ودرس ظروف المعركة درساً وافياً وتوقع نتائجها ، اقتنع بأن الانسحاب بأقل خسارة ممكنة هو الحل الأفضل ، فقوة العدو تبلغ ضعفاً لقوة المسلمين ، فلم يبق أمام هؤلاء إلا الانسحاب المنظم وعلى هذا الأساس وضع خالد الخطة التالية:

أ- الحيلولة بين جيش الروم وجيش المسلمين ، ليضمن لهذا الأخير سلامة الانسحاب .

ب- لبلوغ هذا الهدف ، لا بد من تضليل العدو بإيهامه أن مدداً ورد إلى جيش المسلمين فيخفف من ضغطه وهجماته , ويتمكن المسلمون من الانسحاب ، وصمد خالد حتى المساء عملا بهذه الخطة ، وغير في ظلام الليل مراكز المقاتلين في جيشه ، فاستبدل الميمنة بالميسرة ، ومقدمة القلب بالمؤخرة ، وفي أثناء عملية الاستبدال اصطنع ضجة صاخبة وجلبة قوية ، ثم حمل على العدو، عند الفجر، بهجمات سريعة متتالية وقوية ليدخل في روعه إن إمدادات كثيرة وصلت إلى المسلمين ، ونجحت الخطة ؛ إذ بدا للعدو صباحاً أن الوجوه والرايات التي تواجهه جديدة لم يرها من قبل ، وأن المسلمين يقومون بهجمات عنيفة ، فأيقن أنهم تلقوا إمدادات ، وأن جيشاً جديدًا نزل إلى الميدان ، وكان البلاء الحسن الذي أبلاه المسلمون قد فت في عضد الروم وحلفائهم ، فأدركوا أن إحراز نصر حاسم ونهائي على المسلمين أمر مستحيل، فتخاذلوا وتقاعسوا عن متابعة الهجوم ، وضعف نشاطهم واندفاعهم ، فخف الضغط عن جيش المسلمين، وانتهز خالد الفرصة فباشر الانسحاب , وكانت عملية التراجع التي قام بها خالد في أثناء معركة (مؤتة) من أكثر العمليات في التاريخ العسكري مهارة ونجاحاً ، بل إنها تتفق وتتلائم مع التكتيك الحديث للانسحاب , فقد عمد خالد إلى سحب الجناحين بحماية القلب ، ولما أصبح الجناحان بمنأى عن العدو، وفي مأمن منه ، عمد إلى سحب القلب بحماية الجناحين ، إلى أن تمكن وضمن سلامة الانسحاب كليّاً ، ويقول المؤرخون: إن خسارة المسلمين لم تتعد الاثني عشر قتيلاً في هذه المعركة ، وأن خالداً قال: (لقد انقطع في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي إلا صفيحة يمانية) .

ويمكن القول إن خالداً بخطته تلك ، قد أنقذ الله المسلمين به من هزيمة ماحقة وقتل محقق , وأن انسحابه كان قمة النصر بالنسبة إلى ظروف المعركة ، حيث يكون الانسحاب في ظروف مماثلة أصعب حركات القتال ، بل أجداها وأنفعها .

**معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم وموقف أهل المدينة من الجيش :**

ظهرت معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم في أمر هذه السرية , فقد نعى المسلمين في المدينة زيداً وجعفرًا وابن أبي رواحة قبل أن يصل إليه خبرهم ، وحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقع للسرية وذرفت عيناه الدموع ، ثم أخبرهم بتسلم خالد الراية ، وبشرهم بالفتح على يديه وأسماه سيف الله , وبعد ذلك قدم من أخبرهم بأخبار السرية ، ولم يزد عما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم .

ولما دنا الجيش من حول المدينة ، تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون , ولقيهم الصبيان ينشدون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل مع القوم على دابة فقال: خذوا الصبيان واحملوهم ، وأعطوني ابن جعفر، فأتي بعبد الله ، فأخذه فحمله على يديه ، وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون: يا فرار, أفررتم في سبيل الله ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى ، وإن الإنسان ليعجب من هذه التربية النبوية التي صنعت من الأطفال الصغار، رجالاً وأبطالاً ، يرون العودة من المعركة دون شهادة في سبيل الله، فرارًا من سبيل الله ، لا يكافأون عليه إلا بحثو التراب في وجوههم ، فأين شبابنا المتسكعون في الشوارع ، من هذه النماذج الرفيعة من الرجولة الفذة المبكرة؟ ولن تستطيع الأمة أن ترتفع إلى هذه الأهداف النبيلة والقمم الشوامخ إلا بالتربية الإسلامية الجادة القائمة على المنهاج النبوي الكريم .

**سرية ذات السلاسل :**

لم تمضِ سوى أيام على عودة الجيش من مؤتة إلى المدينة حتى جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً بقيادة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، وذلك لتأديب قضاعة التي غرها ما حدث في مؤتة التي اشتركت فيها إلى جانب الروم , فتجمعت تريد الدنو من المدينة ، فتقدم عمرو بن العاص في ديارها ومعه ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، ولما وصل إلى مكان تجمع الأعداء بلغه أن لهم جموعاً كثيرة ، فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب المدد فجاءه مدد بقيادة أبي عبيدة ابن الجراح , وقاتل المسلمون الكفار وتوغل عمرو في ديار قضاعة التي هربت وتفرقت وانهزمت ، ونجح عمرو في إرجاع هيبة الإسلام لأطراف الشام ، وإرجاع أحلاف المسلمين لصداقتهم الأولى ، ودخول قبائل أخرى في حلف المسلمين ، وإسلام الكثيرين من بني عبس ، وبني مرة وبني ذبيان ، وكذلك فزارة وسيدها عيينة بن حصن في حلف مع المسلمين ، وتبعها بنو سليم ، وعلى رأسهم العباس بن مرداس، وبنو أشجع , وأصبح المسلمون هم الأقوى في شمال بلاد العرب ، وإن لم يكن في بلاد العرب جميعها .